الدور التربوي والتعليمي لزوايا منطقة الجلفة

The educational role of the Zaouias of the district of Djelfa

عبد العزيز نارة[1]

جامعة أحمد دراية – الجامعة الإفريقية– أدرار

مخبر المخطوطات الجزائرية بإفريقيا

aziz3171@gmail.com

المشرف : أ/د رموم محفوظ

المشرف المساعد: د/ داودي مصطفى

تاريخ الوصول :2019/07/29 القبول: 2020/05/19 /النشر على الخط: 2020/06/15

Received: 29/07/2019 / Accepted: 19/05/2020 / Published online : 15/06/2020

ملخص:

إن الزوايا بيوت الرحمان رسالتها نشر العلم والمعرفة، ومنهاجها سلوك طريق الاستقامة والاعتدال، وهي المؤسسات الحضارية التي كانت ومازالت قلاعا حصينا في وجه الاستعمار والتبشير، حفظت قيم الأمة وحصنت أبناءها من التغريب والتنصير، ارتبطت الزوايا بتاريخنا الطويل، وكان لها الدور الكبير في التربية والتعليم على مر العصور، ولم يقتصر دورها في التعليم فقط بل كانت لها وظائف أشمل شمولية الدين الإسلامي، فلقد كانت مدارس ومعاهد للدراسة والعلم، وكانت خلوات للتربية الروحية والإيمانية، كما كانت مجالس للذكر وللتلاوة وملتقيات لإصلاح ذات البين، كما كانت رسالتها اجتماعية تسعى لنشر المحبة والتعاطف والتضامن بين المؤمنين، لقد سعت الزوايا للمحافظة على الهوية الوطنية بإقامة نظم تعليمية وتربية النشء يعتمد عليه الوطن في تسيير ذاته بذاته.

الكلمات المفتاحية: – الزوايا، – نشر العم والمعرفة، – المؤسسات الحضارية، – مدارس ومعاهد، – مجالس للذكر.

Abstract:

The Zaouias, the houses of Ar-Rahman, are meant to disseminate science and knowledge. and their appraoch is to follow the path of righteousness and moderation. They are the institutions of civilization, which was and remains a fort in the face of colonialism and proselytizing. They preserved the values of the nation and fortified its children from Westernization and Christianization, The Zaouias were associated with our long history and had a great role in education throughout the ages, not only in education, but also in the functions of the most inclusive of the Islamic religion. They were schools and institutes of study and science. They were the retreats of spiritual and faith education, as well as meetings for the recitation and forums for the reform of interrelationships. They also send a social message seeking to spread love and sympathy and solidarity among believers, The Zaouias has sought to preserve the national identity by establishing educational systems and educating young people on which the country depends in its own right.

Keywords: - Zaouias, - spread of knowledge and science, - civilizational institutions, - schools and institutes, - councils of the recitation.

[1] المؤلف المرسل: عبد العزيز نارة الإيميل :aziz3171@gmail.com

1. مقدمة:

عرفت الجزائر كسائر بلدان المغرب العربي انتشار العديد من الزوايا، وباعتبار الجلفة ا أحد ربوع هذا الوطن عرفت هي الأخرى عدة زوايا لعبت أدوار كبيرة إذ كانت منبر إشعاع حارب الجهل والأمية، وأنار العباد بالعلم والمعرفة، وحصن الناس من كافة المخططات الاستعمارية التي لطالما هدفت إلى طمس الهوية الوطنية والشخصية الإسلامية.

كما حملت هذه الزوايا راية التربية الروحية وأسس التكافل بين أفراد المجتمع وحماية تراث الأجداد قبل راية العلم والجهاد، لتطهير المجتمع من الشوائب وإبعاده من الخرافات والبدع التي يتخبط فيها، ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل الآتي: فيما تمثل الدور التربوي والتعليمي لزوايا منطقة الجلفة؟.

2. أهم المراكز الدينية المؤثرة في الجلفة

-زاوية الهامل:

أسس الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي* زاويته الأولى بعد عودته من زاوية الشيخ بن أبي داود سنة 1848م، وقد بلغ عدد طلاب العلم لديه ثمانين طالبا قدموا من مختلف القرى[1]، ولم يمنع اشتغال الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي بمهمة التعليم من الاستمرار في طلب العلم والاستزادة منه، وواصل دراسته بزواية الشيخ المختار حتى أجازه شيخها المختار بن عبد الرحمان في إعطاء ورد الطريقة الرحمانية**، وبعد عودته بدأ في تأسيس زاوية ثانية بقرية الهامل بالجنوب الغربي من مدينة بوسعادة وذلك لصغر معهده القديم وازدياد عدد التلاميذ وبمساندة سكان القرية شرع في بنائها سنة 1862م واستكمل أغلب مرافقها في سنة 1863م، حيث استقر فيها وباشر التدريس لوحده وبعدها استعان بمجموعة أساتذة الذين تكونوا أصلا على يده[2].

-زاوية الشيخ المختار:

تقع الزاوية المختارية الرحمانية بدائرة أولاد جلال ولاية بسكرة، وقد أسسها الشيخ المختار* بن خليفة الجلالي سنة 1815م حيث كان يوصي طلبته بعد إتمام دراستهم والعودة إلى بلدانهم بتأسيس الزوايا، وقد كانت الزاوية المختارية قبلة لطلبة

---

* هو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيح بن محمد، ولد بالبادية قرب حاسي بحبح في شمال الصحراء بمكان يسمى الحمادية سنة 1823م، ولد في أسرة ذات علم ودين، التحق بزاوية الطيار سنة 1836م، ثم انتقل إلى زاوية ابن أبي داوود في زواوة سنة 1838م حيث تلقى علوم الشريعة، للمزيد أنظر: **الشيخ درام**، النظم التعليمية في الزوايا –زاوية الهامل أنموذجا–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع التربية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة سطيف 2، إشراف الأستاذ: الطاهر سعود 2013/2012م، ص ص145-147.

[1] **وفاء بن علية**، زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، قسم التاريخ-بوزريعة، إشراف الأستاذ: شاوش حباسي، 2008/2007م، ص ص53-54.

** هي طريقة دينية صوفية نشأت في الجزائر في أواخر القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي على يد مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري، ومنه أخذت اسمها ففي سنة 1183هـ/1769م أسس الشيخ زاويته بقرية آيت إسماعيل ومنها انطلقت الطريقة الرحمانية التي كانت تسمى في البداية الطريقة الخلوتية، وهي تمثل أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسية هامة في تاريخ الجزائر، للمزيد أنظر: **الميلود قويسم**، ترجمة الشيخ سي أحمد بن حمرورش (اليحياوي النايلي المشيشي الإدريسي الحسني)، مخطوط قيد الطبع، ص10.

[2] **وفاء بن علية**، المرجع السابق، ص ص38،54-55.

* ينحدر الشيخ المختار بن خليفة من سلالة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وقد ولد ببلدة سيدي خالد سنة 1788م وفيها نشأ وترعرع ثم استقر ببلدة أولاد جلال التي بنى بها زاويته، للمزيد أنظر: **صلاح مؤيد العقبي** الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر "تاريخا ونشاطها"، د ط، دار البراق، بيروت-لبنان، 2002م، ص387.

العلم وحفظة القرآن الكريم من واحات الزيبان ومناطق الجلفة وغيرها من جهات أولاد نايل كما كانت الزاوية تقدم للطلبة كل ما يلزمهم من مأكل وتوفر لهم المبيت بدون مقابل إلى أن يحفظوا القرآن الكريم حفظا متقنا مع التزود بكم لبأس به في العلوم الدينية واللغوية.

بعد وفاة الشيخ المختار الذي عمل على رعاية شؤون الزاوية بنفسه تولى أمور الزاوية الشيخ محمد الصغير حيث شهدت الزاوية في عهده سعة في العلم والعمران وازداد عدد طلبتها حتى بلغ 500 طالب علم وحفظة القرآن[1].

-الزاوية العثمانية "طولقة":

أسسها الشيخ علي بن عمر** سنة 1780م، وهي تقع في مدينة طولقة إحدى دوائر ولاية بسكرة وتعتبر من أكثر الزوايا نشاطا وأحسنها تنظيما، وقد كانت الزاوية خيرا وبركة للبلدة وما جوراها من المدن والقرى والمداشر بفضل مؤسسها، حيث كان يقصدها الصغير والكبير لحفظ القرآن الكريم وفهم الدين، وتعد الزواية العثمانية منذ تأسيسها معقلا من معاقل الإسلام، فقد فتحت أبوابها لطلبة العلم والقرآن الكريم والباحثين والدارسين، كل يجد مبتغاه ويسأل من العلم والمعرفة ما يتمناه[2].

3. المؤسسات الدينية في منطقة الجلفة "الزوايا"

تعد الزوايا منبرا للعلم وملجأ للطرق الصوفية*** ومكان يقصده العلماء وطلبة العلم من شتى أرجاء الوطن الجزائري، وقد كان للزوايا أهمية بالغة من حيث ما تقوم به في الجانب الجهادي والإصلاحي، أيضا تكوينها للعلماء الذين برزت أعمالهم جليا في محاربة أنواع الفساد الخلقي وإصلاح المجتمع وذلك عن طريق تأسيس الزوايا وبناء المساجد، ولعل من بين المناطق التي انتشرت فيها الزوايا بشكل كبير وملحوظ منطقة الجلفة، حيث ساعدت في ذلك الزاوية الجيلالية وما كان لها من صدى وتأثير على المشايخ الذين درسوا وتعلموا بها، وظهر ذلك من خلال ما قاموا به من توعية للسكان وإنشاء زوايا بالمنطقة والتي تصدت للجهل وقامت بالكثير من الأعمال التربوية والاجتماعية وفيما يلي ذكر لبعض زويا منطقة الجلفة:

❖ زاوية الشيخ بن عرعار 1780م

تعتبر زاوية الشيخ بن عرعار من أقدم زوايا المنطقة، حيث تم تأسيسها بمنطقة الصدارة من قبل الشيخ عطية المعروف ببيض القول والذي كان يتبع الطريقة الرحمانية التي كانت تهدف إلى تثبيت معالم الدين الإسلامي ونشره وتحفيظ القرآن الكريم، كما سعت للمحافظة على المقومات الوطنية للشعب الجزائري، وقد أخذ الشيخ عطية هذه الطريقة عن مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري وكان ذلك في العهد العثماني، ولما توفي خلفه ابنه الشيخ أحمد إلى غاية وفاته سنة 1850م، ثم جاء

---

[1] نفسه، ص ص387-388.

** نشأ ببلدة طولقة نشأة الصالحين متجردا للعبادة، منقطعا للقرآن الكريم، متفرغا للذكر، وقد أخذ الشيخ علي بن عمر العلم عن شيخه محمد بن عزوز البرجي وتخرج من زاويته، ويتصل نسب الشيخ بالحسن السبط بن بن فاطمة البتول بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم وبن الإمام علي رضي الله عنه، للمزيد أنظر: **صلاح مؤيد العقبي** المرجع السابق، ص ص395-396.

[2] نفسه، ص394.

*** ظهرت أواخر القرن الثالث الهجري بأنظمتها وطقوسها، ويعود انتشار الطرق الصوفية وتعددها وتفرعها إلى القرن الثامن عشر هجري، حيث فاق عددها الثمانين طريقة، وفي الجزائر توجد الطريقة الرحمانية وهي أكثر الطرق انتشارا، والسنوسية والقادرية والتيجانية والطيبية والشاذلية والعلاوية والدرقاوية والعيساوية والعمارية والحنصالية والزيانية والموساوية، للمزيد انظر: **صلاح مؤيد العقبي**، مرجع سابق، ص ص131-132.

بعد ابنه سيدي البشير ولما توفي هذا الأخير تولى شؤون الزاوية ابنه الشيخ بن عرعار والتي أصبحت تنسب إليه، فقام بتسييرها والعمل على المحافظة عليها، وقد شهدت الزاوية في هذه المرحلة توسعا في نشاطها، لما توفي الشيخ بن عرعار سنة 1957م خلفه ابنه محمد وقد سار على نهج سلفه في التقيد بما جاء به الدين الإسلامي والعمل على إصلاح ذات البين حتى وافته المنية وكان ذلك سنة 1973م، ليأتي بعد ابنه الشيخ الأخضر ويخلفه على الزاوية، وقد بقيت هذه الزاوية مستمرة في نشاطها رغم كل الأوضاع[1].

❖ زاوية الشيخ بولرباح بن محفوظ(سي أحمد المغربي) 1830م

ولد الشيخ بولرباح بن محفوظ سنة 1790م وأسس زاويته سنة 1830م وهي تقع حاليا جنوب قرية الدويس، حيث كانت متنقلة محافظة على الطابع العربي الأصيل تخرج منها حفظة القرآ الكريم جمعتهم من نواحي عديدة من داخل الولاية وحتى خارجها وبقي الشيخ سائرا على النهج الأمثل مدة خمسة وخمسين سنة حتى توفي عام 1885م[2]، ثم خلفه ابنه الشيخ مصطفى المزداد في 1853م وقام أحسن قيام بشؤون الزاوية وتشجيع تعليم القرآن وتدعيمها بشيوخ أكفاء في الحفظ والرواية والتفقه في الدين ومساعدة المحرومين حتى توفي سنة 1942م، ثم خلفه أخوه الشيخ بولنوار المزداد سنة 1887م وسار على نهج سلفه ولم تطل خلافته فتوفي سنة 1947م، ثم خلفه ابن أخيه الشيخ أحمد المعروف بالمغربي المزداد سنة 1918م فتولى شؤون الزاوية سنة 1948م وبذل مجهود كبير في تحفيظ القرآن الكريم وبنى للطلبة حجرات وازدهرت الزاوية به، وتخرج منها حفظة القرآن الكريم فتوظفوا في المساجد كمعلمين وأئمة مرشدين، وبقي مدة أربعين عاما حتى توفي سنة 1989م، ثم خلفه حفيده الشيخ بلقاسم بن مصطفى[3].

❖ الزاوية الطاهرية 1837م

تقع الزاوية الطاهرية ببلدية مسعد ولاية الجفلة أسسها الشيخ الطاهر بن محمد حوالي سنة 1837م بعد تلقيه العلم وأصول الدين والفقه والحديث، وكانت زاوية راحلة متحركة يرحل أهلها على الإبل(المرحول العائلي) بحثا عن المراعي لمواشيهم ومع هذا الرحيل والتنقل كانت تعلم القرآن الكريم وعلوم الدين[4]، وواجهت المستعمر الفرنسي وصدته على محو الشخصية الإسلامية والعربية والهوية الوطنية الجزائرية واصل مؤسسها سيره في طريق السنة، واستمر داعيا الجمع الغفير للتعليم حتى توفي سنة 1891م، ثم خلفه عليها أخوه الشيخ يوسف فازدهرت بالحُفَّاظْ للقرآن وتخرج منها جماعات واهتدى بهديه خلق كثير، كانت الزاوية آنذاك لها مقرات صيفا وشتاء حسب الظروف المواتية وكانت مأوى للمستضعفين من اليتامى والأرامل والعجزة والمساكين ولا يدخر شيئا به عن المحتاجين، واستمر في جهاده حتى سنة 1917م تولى شؤون الزاوية بعده ابنه الأكبر وهو الشيخ المختار الذي عرف بالكرم والبذل وقام بما كان سلفه به قائم، فكان يكرم الغير ويحثهم على الطاعة والاستقامة وبقي هكذا حتى توفي سنة 1951م، فخلفه عن الزاوية أخوه الشيخ محمد الطيب الذي كان فقيها حليما حكيما وسار على نهج سلفه حتى توفي سنة

---

[1] **صليحة رقيق**، مدرسة الإخلاص "إحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة" دورها الإصلاحي والتربوي (1938م-1962م)، ط 1، دار الضحى، الجلفة-الجزائر، 2016م، ص ص61-62.

[2] **أحمد بورزق وآخرون**، بعض زوايا وشيوخ الجلفة، مجلة المركز الثقافي الإسلامي، ع:4، فرع الجلفة، جانفي- فيفري-مارس2007م، ص77.

[3] **عامر محفوظي**، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، ط 1، مطبعة النعمان الجزائر، 2002م، ص32.

[4] **بن داود بن جدو**، الزوايا القرآنية المتحركة بالجلفة، الملتقى الوطني الأول، الجلفة تاريخ ومآثر، المركز الثقافي الإسلامي، الجلفة، 2007م، ص40.

1969م، ليأتي بعده أخوه الشيخ بلخير بمساعدة أخيه الشيخ بلقاسم وبقيا متعاونين على استمرار الزاوية والقيام بها حتى توفي الشيخ بلقاسم سنة 1975م، بقي الشيخ بلخير مسؤولا على الزاوية حتى توفي سنة 1982م ليخلفه ابنه المختار بمساعدة ابن عمه الشيخ عبد العزيز[1].

❖ زاوية الشيخ الشريف بن الأحرش 1838م

هو الشيخ الشريف بن الأحرش بن القندوز بن الأحرش بن احمد بن الغربي بن الغويني بن محمد بن عبد الرحمان بن سالم بن امليك بن محمد الملقب بنائل[2]، ولد الشيخ الشريف بن الأحرش خليفة الأمير عبد القادر على أولاد سيدي نائل ببلدة زاغز بحاسي بحبح-الجلفة، في شهر جوان 1803م، نشأ وتربى تربية السعداء في حجر والديه وكان من الذين اختصهم الله برعايته، قرأ القرآن الكريم وحفظه حفظا جيدا ولما بلغ الثامنة عشر من عمره انتقل في طلب العلم وسلوك الطريق إلى الشيخ المختار الجيلالي بأولاد جلال فأخذ عنه علوم السلوك وعلوم الشريعة ثم أجازه الشيخ وكتب له بخط يده الإجازة ثم دعى له بالخير وأذن له في إعطاء العهد وتعمير الزاوية ببلده لتعليم القرآن الكريم[3]، أسس زاويته سنة 1838م وكانت ملجأ للفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام فانتفع به خلق كثير، وقد تخرج من زاويته ما يزيد عن ثلاثة مائة طالب يحفظون القرآن الكريم ومبادئ علوم الدين فصار مسموع الكلمة مجاب الدعوة وكان مثالا حيا في نشر العلم والدين وخادما أمينا لعامة المسلمين، توفي الشريف بن الأحرش في شهر أكتوبر 1864م ودفن رحمه الله بمقبرة الزاوية بعين شنوف-الجلفة[4].

❖ زاوية الشيخ عبد الرحمان النعاس

ولد الشيخ عبد الرحمان بن سليمان بن بلخير النعاس سنة 1826م بزاغر-الجلفة، ونشأ في بيئة ذات دين، وانتقل إلى زاوية أولاد جلال وأخذ عن الشيخ المختار علوم الشريعة وأجازه في الطريقة الرحمانية[5]، وأذن له بتأسيس زاوية فبدأها بالمكان المسمى عين الحمام ما بين حد الصحاري وحاسي العش حاسي بحبح-الجلفة، واستقر به المقام بحوش النعاس دار الشيوخ حاليا[6]، وعرفت الزاوية آنذاك بحوش النعاس لأنها الوحيدة في تلك الجهة ثم توسعت وكثرت البناءات حولها فصارت تعرف بدار الشيوخ واشتهر مؤسسها الشيخ عبد الرحمان النعاس بالإرشاد والإصلاح والموعظة وانتفع به خلق كثير وتخرج من زاويته حفظة القرآن وفقهاء نزهاء يعلمون ويرشدون وبقي داعيا في الخير ساعيا حتى توفي سنة 1907م، فخلفه ابنه الأستاذ الشيخ محمد الذي أخذ العهد من شيخه محمد بن أبي القاسم الهاملي ومازال ملازما على ذلك الإذن في تعمير زاويته بتلاوة القرآن وتعليم

[1] **عامر محفوظي**، المرجع السابق، ص ص27-28.

[3] **علي نعاس**، تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد، د ط، مطبعة رويغي، الجزائر، 2016م، ص64.

[4] **محمدالصغير بن الشيخ المختار الجيلالي**، تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، المطبعة الثعالبية الجزائر، 1916م، ص ص218-219.

[4] **علي نعاس**، مرجع سابق، ص66-68.

[1] **سعيد هرماس**، من فضلاء منطقة الجلفة "من 1861م إلى مطلع القرن الحادي والعشرين"، ط 4، دار الجلفة إنفو، الجلفة-الجزائر، 2017م، 293.

[2] **علي نعاس**، المرجع السابق، ص226.

الفقه بنفسه والترغيب دائما بالمواعظ ،إلى أن لبى دعوة ربه سنة 1946م، ثم خلفه ابنه الشيخ الشريف وبقي سائرا على نهج سلفه حتى توفي سنة 1969م[1].

❖ زاوية الشيخ أحمد بن حمرورش 1860م

ولد الشيخ أحمد بن حمرورش حوالي سنة 1820م بضواحي سد رحال- مسعد-الجلفة، وتعلم مبادئ اللغة العربية وأحزابا من القرآن الكريم، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ المختار بأولاد جلال حيث حفظ القرآن الكريم وأجاد اللغة العربية[2]، بعد أن لازم الشيخ أحمد بن حمرورش شيخه المختار لمدة طويلة خدمة واستفادة أذن له الشيخ المختار بن عبد الرحمان كما أذن لسائر البكارى (القدامى) في التعليم والتلقين والإرشاد وإقامة زاوية للقرآن وللطعام بمنطقة عرشه[3].

أسس الشيخ أحمد بن حمرورش زاويته التي سميت باسمه حوالي سنة 1860م وكانت على شكل خيمة متنقلة يقيم فيها الطلبة، ورغم صعوبة الظروف الاجتماعية والاقتصادية تتلمذ على يده الكثير من الطلبة في حفظ القرآن الكريم والأحكام الفقهية وبعد وفاة الشيخ أحمد بن حمرورش قبل سنة 1917م، تولى شؤون الزاوية ابنه الأكبر الحاج محمد المولود عام 1852م بصحراء سد رحال- مسعد، وبعد وفاة الشيخ المقدم الحاج محمد تولى شؤون الزاوية المقدم محمد الصغير المولود عام 1902م والذي توفي في جانفي سنة 1989م، ليخلفه بعدها المقدم حمرورش المبروك المولود عام 1908م ودامت خلافته بالزاوية حتى 1993م وهو تاريخ وفاته، ثم خلفه أخوه المقدم أبو بكر الذي ولد سنة 1922م، ثم خلفه على تولِّي شؤون الزاوية المقدم علي بن محمد[4].

4. دور زوايا منطقة الجلفة إبان فترة الاستعمار

➢ الدور التعليمي:

كانت الزوايا عبارة عن مدارس ومعاهد لتعليم الشباب في كل المستويات ومراكز لتنوير العامة حتى أصبحت قبلة للطلاب من كل الجهات وتحولت إلى مدارس عليا وجامعات تدرس فنون العلم المختلفة من عقيدة وفقه إلى علوم اللغة وغيرها.

➢ التربية الروحية في الزوايا:

يتمثل هذا الدور في نشر العقيدة بين العباد والمداومة عليها والسمو بالإنسان إلى المراتب العليا في مراقبة الله عز وجل وحسن الصلة به، فالشيوخ والعلماء أسسوا زواياهم على تلك المبادئ وآمنوا أنه لا تصلح أمتهم إلا بالعقيدة الصحيحة التي تملأ قلوب أبنائهم.

---

[1] **عامر محفوظي**، مرجع سابق، ص ص33-34.

[4] **علي نعاس**، مرجع سابق، ص55.

[5] **الميلود قويسم**، مرجع سابق، ص26.

[6] **لمباركي بلحاج**، البداية في أعلام وأقلام جنوب الولاية، (غير منشور)، ص ص28-29.

كان المسلمون في تلك الفترة بحاجة إلى دعاة وشخصيات قوية تجمع بين القرآن الكريم وتعليمه وتزكية النفوس، فاجتهد الشيوخ والعلماء في تجديد دعوة الإيمان وإعادة أخلاق المؤمنين المخلصين للأمة، حيث حققت الزوايا في ذلك نجاحا خاصة ما تعلق بتهذيب النفوس إحياء الإيمان في الأمة من جديد.

➢ رعاية الفقراء والمحتاجين:

لقد لعبت الزوايا دورا كبيرا في رعاية الفقراء والمحتاجين، وتجلى دورها أكثر في المظهر الاجتماعي، فقد جمعت بين التعليم والعبادة والنشاط الاجتماعي حيث كانت ملجأ للمحتاجين والأرامل والأيتام والفقراء[1].

➢ الدور الجهادي للزوايا أثناء الفترة الاستعمارية:

لم يقتصر نشاط هذه الزوايا على التربية والتعليم والتحصين الثقافي والحفاظ على اللغة العربية والتقاليد الإسلامية والهوية الحضارية فحسب، بل وتجاوز ذلك للقيام بأنشطة سياسية لاسيما في عهد الاستعمار، ولم يعتمد شيوخ الزوايا على الدولة لتؤسس أو تمول لهم زوايا يواصلون منها رسائلهم التعليمية، وإنما اعتمدوا بشكل أساسي على الجهود الذاتية ومساعدات المسلمين، كما التف الناس حولهم وساندوهم[2].

لقد تصدت الزوايا للاستعمار الفرنسي وتجلى ذلك من خلال:

- نشر تعاليم الإسلام.
- الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي، والدعوة إلى مقاتلته[3].
- الوقوف إلى جانب المقاومات الشعبية وتأييدها في مواجهة الاستعمار الفرنسي.
- تعبئة أهالي المنطقة لمحاربة الاحتلال وإعلان الجهاد ضده[4].

5. أثر الزوايا على المجتمع الجزائري

يقول ابن سبعين لتلاميذه:

((عليكم بالاستقامة على الطريق وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة، ولا تفرقوا بينهما فإنهما من الأسماء المترادفة، واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا وقولوا عليها وعلى أهلها اللعنة..))، كما لعب هؤلاء المتصوفة من أصحاب الطرق دورا كبيرا في حياة الناس وخاصة في العهد العثماني في الجزائر، حيث ظل الوجاق يسير على سياسة سلبية لا تربطه بالسكان إلا جباية الضرائب، وبالتالي فقد ملأ المرابطون والطرق الصوفية الفراغ الذي كان سائدا في المجتمع الريفي المنعزل عن الحكومة التي أهملت جانبه سواء في ميدان الرعاية أو التعليم والتوجيه، فكانت الطرق الصوفية والزوايا هي البديل عن الحكومة حيث عملت على

---

[1] **عبد الرحمان هزرشي**، دور زوايا منطقة الجلفة في الخدمة الاجتماعية إبان الفترة الاستعمارية، الملتقى الوطني الأول، الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962م، إعداد الجمعية الولائية للبحث التاريخي والتراث بالجلفة- جوان 2013م دار النعمان، الجزائر ،2015م، ص ص122-125.

[2] **محمد بلقاسم الشايب**، الجلفة تاريخ ومعاصرة، مر: أحمد السبع، د ط، دار أسامة، الجزائر، 2007م، ص103.

[3] **مريم سعود، أمينة سعود**، مرجع سابق، ص145.

[1] **موسى تريعة**، المؤسسات الدينية في منطقة الجلفة(زاوية الحاج المختار بن خليفة أنموذجا)، الملتقى الوطني الأول، الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962، إعداد الجمعية الولائية للبحث التاريخي والتراث بالجلفة- جوان 2013م دار النعمان، الجزائر ،2015م، ص138.

تحقيق الوحدة الوطنية بين أفراد الشعب، وهو ما أهمله الأتراك عن عمد، رغم ما واجهته من طرف العلماء والمرابطين ورجال الدين والحكام الأتراك على الصعيد الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

كما عملت على تحقيق السلام والأمن والاستقرار بين القبائل فكانت تتدخل في حسم الخلاف بين القبائل كلما نشبت حرب بينهما، كما عملت على توفير التعليم لأبناء السكان وإطعام الفقراء والمعوزين والعجزة، حيث قامت بالدور الذي كان ينتظر أن يقوم به الوجاق في ميدان الرعاية والتوجيه والتعليم لسكان الأرياف مما جلب لها التأييد الكامل والطاعة المطلقة من السكان.

ويمكن القول أن التصوف في العالم الإسلامي في مختلف العصور قد أدى إلى هبوط الطاقة العقلية للعلماء العرب وإلى انحطاط المدارس الفلسفية الإسلامية وبالتالي انحطاط المسلمين وتأخرهم، كما كانت الطرق الصوفية وركيزتها المتمثلة في المرابطين بؤرة للخرافات والبدع التي ظلت تسيطر على عقول الناس وأفكارهم، كما ظل التصوف مجالا للخرافات حيث استغله الدجالون والمشعوذون لجلب الناس والاستحواذ على أموالهم فأصبح ذلك التصوف المزيف مصدرا للكسب وليس احتسابا لله.

إلا أنه لا يُنْكَر بأن هناك من المتصوفة من كانوا مخلصين وقد نفعوا الناس من حيث أنهم قللوا تكالبهم على الدنيا وضبطوا نفوسهم وكبتوا شهواتهم.

إن اتخاذ كافة الطرق والزوايا للوسط الريفي ميدانا لنشاطها نظرا لصلاحيته لنشر الدعوة واكتساب الأتباع بحكم ضعف المستوى العقلي لسكان الريف، ساعد على انتشارها وتوسعها، وفي الوقت نفسه ضمنت الابتعاد عن أنظار ومراقبة السلطة.

يضاف لذلك اعتماد مؤسسي الطرق على وسيلة الإغراء من الكرامات والغفران لكل من تبعهم والتي أثرت على عقول البسطاء من الناس وجعلتهم يتقبلونها بسرعة وبكل ثقة وإيمان قوي ويدافعون عنها، وبذلك حققت هذه الطرق والزوايا التوسع والانتشار وكسبت أنصار عديدين، وضمنت لنفسها الاستمرار والنفوذ.

وبالرغم من أن هذه الطرق تجتمع عن طريق واحد وهو التصوف فإن التنافس بينها على جذب الأتباع واستمرارهم كل في طريقته كان على أشده وذلك لهدف كسب الأنصار وضمان مورد ضخم للزاوية، ومما يوضح ذلك أن كل طريقة عملت على ضمان استمرارها وبقائها، فنهت مريديها ومنعتهم من الانتقال إلى طريقة أخرى[1].

خاتمة:

إن الزوايا بيوت الرحمان رسالتها نشر العلم والمعرفة، ومنهاجها سلوك طريق الاستقامة والاعتدال، وهي المؤسسات الحضارية التي كانت ومازالت قلاعا حصينا في وجه الاستعمار والتبشير، حفظت قيم الأمة وحصنت أبناءها من التغريب والتنصير.

[1] **مختار الطاهر فيلالي**، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط 1، معهد العلوم الإجتماعية، دائرة التاريخ، جامعة قسنطينة، دار الفن القرافيكي، باتنة، د ت، ص ص60-63.

ارتبطت الزوايا بتاريخنا الطويل، وكان لها الدور الكبير في التربية والتعليم على مر العصور، ولم يقتصر دورها في التعليم فقط بل كانت لها وظائف أشمل شمولية الدين الإسلامي، فلقد كانت مدارس ومعاهد للدراسة والعلم، وكانت خلوات للتربية الروحية والإيمانية، كما كانت مجالس للذكر وللتلاوة وملتقيات لإصلاح ذات البين، كما كانت رسالتها اجتماعية تسعى لنشر المحبة والتعاطف والتضامن بين المؤمنين.

لقد سعت الزوايا للمحافظة على الهوية الوطنية بإقامة نظم تعليمية وتربية النشء يعتمد عليه الوطن في تسيير ذاته بذاته.

وفي المقابل يمكن القول بأنه رغم ما لعبته الزوايا من أدوار إيجابية كانت لها منفعة على سكان المنطقة إلا أنه هناك دور سلبي تمثل في نشر البدع والخرافات من قبل بعض شيوخ الزوايا، بين أوساط السكان.

قائمة المراجع:

(1) **بلحاج لمباركي**، البداية في أعلام وأقلام جنوب الولاية، (غير منشور).

(2) **بن جدو بن داود**، الزوايا القرآنية المتحركة بالجلفة، الملتقى الوطني الأول، الجلفة تاريخ ومآثر، المركز الثقافي الإسلامي، الجلفة، 2007م.

(3) **بن علية وفاء**، زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، قسم التاريخ-بوزريعة، إشراف الأستاذ: شاوش حباسي، 2008/2007م.

(4) **بورزق أحمد وآخرون**، بعض زوايا وشيوخ الجلفة، مجلة المركز الثقافي الإسلامي، ع:4، فرع الجلفة جانفي- فيفري- مارس2007م.

(5) **تريعة موسى**، المؤسسات الدينية في منطقة الجلفة(زاوية الحاج المختار بن خليفة أنموذجا)، الملتقى الوطني الأول، الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962، إعداد الجمعية الولائية للبحث التاريخي والتراث بالجلفة- جوان 2013م دار النعمان، الجزائر ،2015م.

(6) **الجيلالي محمد الصغير بن الشيخ المختار**، تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، المطبعة الثعالبية الجزائر، 1916م.

(7) **درام الشيخ**، النظم التعليمية في الزوايا –زاوية الهامل أنموذجا-، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع التربية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة سطيف 2، إشراف الأستاذ: الطاهر سعود 2013/2012م.

(8) **رقيق صليحة**، مدرسة الإخلاص "إحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة" دورها الإصلاحي والتربوي (1938م-1962م)، ط 1، دار الضحى، الجلفة-الجزائر، 2016م.

(9) **سعود مريم، سعود أمينة،** الحركة العلمية والإصلاحية من خلال زوايا الطريقة الرحمانية في الجلفة 1830-1962م، الملتقى الوطني الأول، الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962م، إعداد الجمعية الولائية للبحث التاريخي والتراث بالجلفة- جوان 2013م، دار النعمان الجزائر، 2015م.

(10) **الشايب محمد بلقاسم،** الجلفة تاريخ ومعاصرة، مر: أحمد السبع، د ط، دار أسامة، الجزائر، 2007م.

(11) **العقبي صلاح مؤيد،** الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر "تاريخا ونشاطها"، د ط، دار البراق، بيروت-لبنان، 2002م.

(12) **فيلالي مختار الطاهر،** نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ط 1، معهد العلوم الإجتماعية، دائرة التاريخ، جامعة قسنطينة، دار الفن القرافيكي، باتنة، د ت.

(13) **قويسم الميلود،** ترجمة الشيخ سي أحمد بن حمرورش (اليحياوي النايلي المشيشي الإدريسي الحسني)، مخطوط قيد الطبع.

(14) **محفوظي عامر،** تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، ط 1، مطبعة النعمان الجزائر، 2002م.

(15) **نعاس علي،** تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد، د ط، مطبعة رويغي، الجزائر، 2016م.

(16) **هرماس سعيد،** من فضلاء منطقة الجلفة "من 1861م إلى مطلع القرن الحادي والعشرين"، ط 4، دار الجلفة إنفو، الجلفة-الجزائر، 2017م.

(17) **هزرشي عبد الرحمان،** دور زوايا منطقة الجلفة في الخدمة الاجتماعية إبان الفترة الاستعمارية، الملتقى الوطني الأول، الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962م، إعداد الجمعية الولائية للبحث التاريخي والتراث بالجلفة- جوان 2013م دار النعمان، الجزائر، 2015م.